African Journal of Advanced Studies in Humanities and Social Sciences (AJASHSS)
المجلة الإفريقية للدراسات المتقدمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية
Online-ISSN: 2957-5907
Volume 5, Issue 1, 2026
Page No: 102-115
Website: https://aaasjournals.com/index.php/ajashss/index
Arab Impact factor 2024: 0.81 **SJIFactor 2024: 6.856** **ISI 2025: 1.191**

Orientalism and its influence on shaping Arab consciousness A critical study of discourse and cultural representations

Dr. Jalal Jumaa Al-Hamrouni *
Department of Philosophy and Sociology, Faculty of Arts and Sciences - Msallata, Al-Marqab University, Msallata, Libya

الاستشراق وتأثيره في تشكيل الوعي العربي دراسة نقدية في الخطاب والتمثيلات الثقافية

د. جلال جمعة الحمروني*
قسم الفلسفة وعلم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم -مسلاتة، جامعة المرقب، مسلاتة، ليبيا

*Corresponding author: gghamrouni@elmergib.edu.ly

Received: October 24, 2025	Accepted: December 29, 2025	Published: January 12, 2026

Abstract:
Orientalism is the study of the East from a Western perspective. It began as an academic study, then developed into a tool for cultural and political hegemony. According to Edward Said, these studies represent an ideological discourse that reflects a stereotypical image of the East as a backward entity, thus justifying Western hegemony. This knowledge was used in colonial policies and the media to distort and simplify Arab identity. The Arab Renaissance project confronted this challenge, declaring the necessity of reform and enlightenment. Currently, the role of Arab intellectuals and institutions lies in dismantling these stereotypes and rebuilding an awareness that reflects a true and diverse identity.

Keywords: Orientalism, Arab consciousness, cultural hegemony, stereotypes.

الملخص
الاستشراق هو دراسة الشرق من منظور غربي، حيث بدأ كدراسة أكاديمية، ثم تطور ليصبح أداة للهيمنة الثقافية والسياسية، ووفقًا لإدوارد سعيد، تمثل هذه الدراسات خطابًا أيديولوجيًا ينم عن صورة نمطية للشرق باعتباره كيان منغلق ومتخلف، مبررًا بذلك الهيمنة الغربية، حيث استُخدمت هذه المعرفة في السياسات الاستعمارية ووسائل الإعلام لتشويه الهوية العربية وتبسيطها، وقد تصدى مشروع النهضة العربية لهذا التحدي، معلنًا عن ضرورة الإصلاح والتنوير، وفي الوقت الراهن، يكمن دور المثقفين والمؤسسات العربية في تفكيك هذه الصور النمطية وإعادة بناء وعي يعكس هوية حقيقية ومتنوعة.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق، الوعي العربي، الهيمنة الثقافية، الصورة النمطية.

المقدمة

الاستشراق يعد ظاهرة فكرية معقدة ساهمت في تحديد العلاقات بين الشرق والغرب لقرون، بدأ في الأصل كدراسة أكاديمية تركز على لغات وثقافات المناطق الشرقية، لكنه تطور فيما بعد ليصبح مشروعًا ثقافيًا وسياسيًا شاملاً، حيث تداخل البحث عن المعرفة مع ممارسات السيطرة، وقد أبرز عدد من المفكرين، وفي مقدمتهم إدوارد سعيد، الجوانب الأيديولوجية لهذا المشروع، موضحين كيف تحول الاستشراق إلى وسيلة للهيمنة، مما ساهم في تعزيز صور نمطية ثابتة عن الشرق باعتباره بدائيًا وغير متطور، بينما تم تقديم الغرب على أنه عقلاني ومتحضر، لم تكن هذه الصور تجسد الواقع بشكل دقيق، بل هي نتاج خطاب تم إنتاجه لخدمة أهداف التوسع الاستعماري وتبريره، وذلك في سياق ما أشار إليه ميشيل فوكو من علاقة بين السلطة والمعرفة، ويعتبر الاستشراق نموذجًا واضحًا على كيفية توليد المعرفة داخل أنظمة القوة لتعزيز

 Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

السيطرة، إذ لم تساهم هذه المعرفة فقط في تشويه الهوية العربية والإسلامية وتقليص تراثها الثقافي، بل أيضًا تركت أثرها في تشكيل الوعي الجمعي العربي.

هل الاستشراق دراسة أكاديمية نزيهة عن الشرق وثقافاته ولغاته؟ أم إنه اتخذ أبعادًا أخرى ليصبح وسيلة للهيمنة الثقافية والسياسية؟ هل أدى (الاستشراق) إلى تشويه الوعي العربي وإعادة تشكيله في إطار منظور غربي؟ كيف ساهم الاستشراق في تشكيل الوعي العربي؟ وما هي الأدوات والأساليب التي استخدمها الخطاب الاستشراقي لرسم صورة العرب وتشكيل تصورات حولهم؟ والأهم من ذلك، كيف تفاعل المفكرون العرب مع هذا الخطاب وكيف عالجوا تداعياته على الهوية والثقافة العربية؟

أهمية الموضوع

تكمن أهمية هذا الموضوع في تناوله لقضية حساسة للغاية تتعلق بالصورة النمطية التي خلقتها الثقافات الأخرى عن العرب، والتي كان لها أبعاد عميقة على الوعي العربي المعاصر، كما أنه يُسلط الضوء على التفاعل بين الثقافتين الشرقية والغربية، مع التركيز على الجهود الفكرية التي بذلها المثقفون العرب لتفكيك خطاب الاستشراق والتصدي له من خلال تقديم رؤى بديلة تعيد للعرب مكانتهم الحقيقية بعيدًا عن التحيزات والأفكار المسبقة.

أسباب اختيار الموضوع

توجد عده أسباب لاختيار هدا الموضوع وهي:

1 - الاهتمام الشخصي بالهوية العربية والانتماء الثقافي والحضاري، والرغبة في ممارسة النقد الذاتي والعمل على إعادة البناء.

2 - تأثير الخطاب الاستشراقي واستمراره في العصر الحديث، حيث يساهم الإعلام الغربي والمناهج الأكاديمية في تعزيز الصور النمطية السلبية حول العرب والمسلمين.

3 - مع صعود تأثير العولمة واتساع الفضاء الرقمي، أسهمت منصات التواصل الاجتماعي والإعلام الجديد في تسريع وانتشار هذه الصور النمطية على نطاق أوسع.

4 - تواجه الهوية العربية تحدياً واضحاً أمام التشويه الثقافي المتعمد، إذ تتعرض لهجمة ثقافية وإعلامية منظمة، تستدعي توجيه الجهود نحو البحث عن آليات فعالة للمواجهة

أهداف البحث:

1. تحليل مفهوم الاستشراق وتطوره التاريخي وارتباطه بالسياق الاستعماري.
2. دراسة تأثير الاستشراق في تشكيل الوعي والهوية العربية.
3. بيان كيفية استخدام الخطاب الاستشراقي كأداة للهيمنة الثقافية والسياسية.
4. تحليل دور الاستشراق في تشويه أو تبسيط الصورة العربية والإسلامية في الفكر الغربي.
5. تحليل محاولات إعادة بناء الوعي العربي عبر مشاريع النهضة الفكرية (مثل طه حسين ومحمد عبده وإدوارد سعيد).

التساؤلات

1 - كيف أثر الخطاب الاستشراقي في تشكيل الهوية العربية وفق تصور إدوارد سعيد، وإلى أي مدى ساهم الوعي العربي في تكوين صورته النمطية من خلال الأدبيات الغربية؟

2 - ما هو دور العلاقة بين المعرفة والسلطة عند ميشيل فوكو في توضيح الآليات التي استغلها الاستشراق لدعم المشاريع الاستعمارية والسيطرة الثقافية؟

3 - كيف يمكن تفسير محاولات إعادة تشكيل الوعي العربي (كما يظهر في أعمال طه حسين ومحمد عبده) كرد فعل على التشويه الناتج عن الاستشراق، وما مدى نجاح هذه المحاولات في تحقيق تحوّلات نوعية في الفكر العربي المعاصر؟

 Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

4 - ما هي طبيعة العلاقة بين الخطاب الاستشراقي التقليدي والتغطية الإعلامية الغربية الحالية للشرق الأوسط، وكيف أثرت العولمة في دوام الصور النمطية أو تفكيكها؟

منهج الدراسة

يجمع هدا البحث بين ثلاثة مناهج رئيسية:

1 - المنهج التحليلي التاريخي وذلك لاستكشاف تطور مفهوم الاستشراق عبر التاريخ، مع التركيز على ارتباطه بالسياقات السياسية والاستعمارية.

2 - المنهج النقدي وذلك في تحليل الخطاب الاستشراقي ونقده، بالإضافة إلى تفكيك آلياته الأيديولوجية وتوضيح علاقته بالهيمنة.

3 - المنهج النظري وذلك فى توظيف الأطر النظرية، مثل نظرية ميشيل فوكو حول العلاقة بين السلطة والمعرفة، ونظرية إدوارد سعيد في الاستشراق، كأساس لفهم هذه الظاهرة وتحليلها بعمق

الاستشراق وتأثيره في تشكيل الوعي العربي

مفهوم الاستشراق لغة

الاستشراق كلمة محدثة في اللغة العربية، فلا يوجد لها أثر في المعاجم العربية وكل ما عثر عليه هو مادة (شرق)، يقال شرقت الشمس أي طلعت [1]، وتعنى ايضا الاستدلال على الشي من ناحية الشرق، فالشرق يرمز الى الحيز المكاني من الكون وهو الشرق [2]، والشرق خلاف الغرب، أما في" المعجم الوسيط" " شرقت الشمس شرقا وشروق ا: إذا طلعت الشمس من جهة الشرق، وأضاءت على الأرض، وشجرة شرقية تطلع عليها الشمس من شروقها إلى نصف النهار [3].

اصطلاحا

من يبحث عن معنى كلمة الاستشراق يجد العديد من التعريفات والآراء، وهده بعض التعريفات، يعرف بأنه العلم الذي يستكشف لغات شعوب الشرق وثقافاتهم وحضاراتهم ومجتمعاتهم وتاريخهم[4]، أو يمكن تعريفه بأنه السعي لفهم علوم الشرق وفنونه وحضارته، من جانب آخر، ويعرّف معجم أكسفورد الجديد هذا العلم بالشخص الذي يتعمق في دراسة لغات الشرق وآدابه[5]، فمنهم من يعرفه على ان الاستشراق هو مجال علمي يهتم بشكل أساسي بفقه اللغة، وارتباطه الأقرب يتضح في المفهوم الذي نشأ منه، فكلمة "استشراق" مشتقة من "شرق"، والتي تعني المشرق أو مكان شروق الشمس، بناءً على ذلك، فإن الاستشراق يُشير إلى دراسة الشرق أو العالم الشرقي بشكل عام[6].

أما مصطلح الاستشراق عند الدارسين والمهتمين العرب وفى أولهم ادوارد سعيد حيث تناول هدا المفهوم في كتابه (الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق) إذ حدد ثلاث مستويات او تصنيفات لتعريف الاستشراق، فالتعريف الأول هو إن الاستشراق هو علم ودراسات أكاديمية يُجريها باحثون من الغرب حول العالم الشرقي، ويشمل مجالات تخصص متنوعة، يسعى الغرب إلى تقديم الاستشراق كعملية علمية تندرج ضمن مجال الدراسات الأكاديمية والمعرفية لديه، أما التعريف الثاني للاستشراق عند ادوارد سعيد تعتبر دراسة الغرب للشرق ضمن إطار الدراسات الأكاديمية مجرد شعارات شكلية، حيث قام المستشرقون في أبحاثهم بالتمييز بين قطبين متباينين، لكل منهما خصائصه الفريده التي تميزه عن الآخر، يمثل الشرق بالنسبة لهم نقطة جذب كونه عالمًا مختلفًا عنهم في الثقافة واللغة والدين والعادات والتقاليد، لهذا، يجد الخطاب

1 - لسان العرب، ابن منظور الأنصاري، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة 1414 هـ، ص303.

2 - صالح محمد حسن الاشرف، الاستشراق: مفهومه وأثاره، دار النشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية الشريعة، المملكة العربية السعودية، 1438ه، ص18.

3 - إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، بالقاهرة، ج1، ط4، 2004، ص480.

4 - ابري، المستشرقون البريطانيون، ترجمة محمد الدسوقي، (د.ط)،(د.ت)، لندن، ص7-8.

5 - احمد سمالوفتش، فلسفة الاستشراق، دار المعارف، القاهرة – 1980، ص22.

6 - رودى بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (المستشرقون الألمان منذ تيدور نولدكه) ترجمة مصطفى ماهر، دار الكتاب العربي، القاهرة، ص11.

 Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

الاستشراقي اهتمامًا كبيرًا من المستشرقين، باعتباره دراسة للآخر المختلف، مما يؤدي إلى اختلاف منهجهم وأساليبهم البحثية، والتعريف الثالث الذي قدمه ادوارد سعيد إن الاستشراق لم يقتصر على دراسة العادات والحضارات والثقافات الشرقية من منظور أكاديمي بحت، بل تجاوز ذلك ليصبح أداة تُستخدم للهيمنة وفرض السيطرة على الشرق، تنبع هذه الدراسات من دوافع خفية ومشبوهة، مما يجعلها تتجاوز الهدف الظاهر المتمثل في البحث الأكاديمي والمعرفي، كما أوضح إدوارد سعيد، فإن الطابع الغالب على الاستشراق يرتبط بمنطق السيطرة والنفوذ، خاصة في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافي، فتعريفات الاستشراق لم تتوقف عند حد معين، حيث سعى كل باحث إلى تقديم تعريف له بناءً على منظوره الخاص ودراسته للموضوع. في القاموس الفرنسي، يُعرّف الاستشراق بأنه توجه فكري يركز على دراسة حياة الشرق الحضارية، بما يشمل اللغة والتاريخ وكل ما يتعلق بحضارته [7].

يتضح مما سبق أن المفهوم العام لمصطلح الاستشراق هو دراسة الغرب لعلوم الشرق المختلفة، بغض النظر عن المآرب والغايات.

نشأة وتطور مفهوم الاستشراق

اختلف المؤرخون حول التحديد الدقيق لبداية ظاهرة الاستشراق، فمنهم من يرى أن جذورها تعود إلى طلاب العلم الذين استفادوا من الحضارة الإسلامية في الأندلس خلال القرن الثامن الميلادي، بينما يعيدها البعض الآخر إلى عصر الإمبراطورية البيزنطية أو الحروب الصليبية، حيث نشأ تفاعل مباشر بين شعوب غرب أوروبا والعرب عبر البحر المتوسط، البعض أيضًا ربطها بالبعثات التبشيرية التي سعت للتواصل والفهم المتبادل، أشارت بعض المصادر إلى أن بدايات الاستشراق في بعض الدول الأوروبية تعود للقرن الثالث عشر، مع وجود محاولات قد تكون أقدم ولكنها فردية وغير مؤسسية، مع ذلك، معظم المؤرخين يتفقون على أن الاستشراق بدأ يأخذ شكلاً منظّمًا وانتشر بشكل جاد بعد عصر الإصلاح الديني، كما توضح الوثائق التاريخية في دول مثل هولندا والدنمارك[8].

اكتسب الاستشراق طابعًا أكثر تنظيمًا وثباتًا في البداية في الفاتيكان، فرجال الدين الذين شكّلوا الطبقة المتعلمة في أوروبا خلال عصر الإصلاح الديني، وجدوا أنفسهم بحاجة للتعمق في دراسة العبرية والعربية وغيرها من اللغات الشرقية لفهم نصوصهم الدينية بشكل يتماشى مع التطورات الإصلاحية الجديدة[9]، إلا أن هذا المسعى لم يبقَ مقتصرًا على رجال الدين فقط، بل سرعان ما دخل المفكرون الأحرار إلى هذا الحقل، مما دفع حركة الاستشراق إلى أبعاد غير مسبوقة، وجعلها أكثر ارتباطًا بتوسع المعارف العلمية والفنية بعيدًا عن تأثير الكنيسة، على سبيل المثال، أذن الملك لويس الحادي عشر بتدريس فلسفة أرسطو بشرح ابن رشد في جامعة باريس رغم معارضة الفاتيكان[10].

تطور مفهوم الاستشراق

ظهر مفهوم الاستشراق الكلاسيكي لأول مرة كمجال أكاديمي في أوروبا بدءًا من القرن السابع عشر، حيث ركّز العلماء الغربيون على دراسة لغات الشرق مثل العربية والتركية والفارسية، إلى جانب الدين الإسلامي، والأدب، والتاريخ الشرقي. الهدف المُعلَن في ذلك الوقت كان فهم الحضارات الشرقية من خلال جمع النصوص القديمة وترجمتها وإعداد القواميس والدروس اللغوية، وبرز نتيجة لذلك مجموعة من المستشرقين الذين لعبوا دورًا مهمًا في نقل المعرفة الشرقية إلى أوروبا، ومع ذلك لم تكن دراساتهم بمنأى عن السياقات السياسية والاجتماعية للاستعمار، الذي كان يشهد تصاعدًا ملحوظًا في آسيا وأفريقيا.

ففي توسع القوى الأوروبية، أصبح الاستشراق أداة لدراسة المجتمعات المستعمَرة لتسهيل السيطرة عليها وتبريرها، شكّل خطابُه صورة نمطية للشرق بوصفه مكاناً للركود والتخلف، مقابل غرب متحضر

7 - على نملة، الاستشراق في الادبيات العربية، العربية للنشر والتوزيع، ط2، (د. ت)، ص 13-14.
8 - محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، دار الفكر، القاهرة، ص532.
9 - المرجع السابق، ص533.
10 - نجيب العقيقى، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ج3، ص1159.

 Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

وعقلاني، مما رسّخ فكرة "الآخر" المختلف والخاضع حتماً للغرب، وعلى الرغم من ادعاءات الحياد، كانت هذه الدراسات تحمل أبعاداً أيديولوجية واضحة، مختزلة الشرق إلى صور ثابتة ساهمت في تبرير الهيمنة السياسية والثقافية تحت شعارات الحضارة والتنوير.

جاء التحول النقدي الأبرز مع إدوارد سعيد في كتابه (الاستشراق 1978)، حيث قدم رؤية ربطت المعرفة بالسلطة، مستفيداً من نظرية ميشيل فوكو، عرّف سعيد الاستشراق كتشكيل أيديولوجي ينتج تصورات تخدم الإمبراطوريات الغربية، وليس علماً بريئاً كما أشار إلى أن المستشرقين تجاهلوا وجهات النظر المحلية وفرضوا تفسيرات منتقاة، بيّن سعيد أيضاً أن هذا الخطاب استمر بعد زوال الاستعمار المباشر، عبر وسائل الإعلام والسياسة والأكاديميا، حوّل نقده الاستشراق من مجال دراسي إلى موضوع للنقد الثقافي الشامل، وأسّس للدراسات ما بعد الكولونيالية التي تعيد النظر في هذه العلاقات.

الاستشراق والسلطة

العلاقة بين المعرفة السلطة

العلاقة بين السلطة والمعرفة علاقة جدلية وعميقة، إذ لا تقتصر السلطة على فرض إرادتها على الناس فحسب بل تمتد لتشمل إنتاج المعرفة التي تُبرّر وجودها وتوطّد هيمنتها، ومن ناحيتها لا تتصف المعرفة بالحياد، بل تكون في أغلب الأحيان نتاج سياق سلطوي يخدم مصالح الفئة الحاكمة أو الطبقات المسيطرة[11].

يقدم ميشيل فوكو* مفهومًا ثوريًا حول العلاقة بين المعرفة والسلطة، وتعد من أبرز المحاور في فلسفته، حيث رفض الفصل التقليدي بينهما واعتبرهما متداخلين بشكل جوهري حيث يرى أنهما ليسا كيانين منفصلين بل متشابكتان بعمق وتُشكلان "شبكة معقدة من العلاقات" تحكم الهياكل الاجتماعية والتجارب الفردية، وقد صاغ مصطلح "السلطة- المعرفة" للتأكيد على هذا الارتباط الذي لا ينفصم، ففي الرؤية الكلاسيكية، تُرى المعرفة كشيء محايد، بينما تُفهم السلطة كقمع خارجي، يرى فوكو أن السلطة منتشرة وتعمل على مستويات متعددة وبطرق متنوعة، فهى تتداخل مع بعضها اى (المعرفة والسلطة) بشكلٍ لا يمكن الفصل بينهما، فلا وجود لمعرفة خارج إطار السلطة، ولا سلطة تُمارَس دون أن تنتج معرفة، السلطة لا تعمل فقط من خلال القمع أو الإكراه، بل تساهم في تشكيل أنماط معينة من المعرفة تعيد تكوين الأفراد وتحدد ما يُمكن التعبير عنه وما يُفترض بقاؤه في طيّ الصمت، لذلك، المعرفة ليست انعكاسًا محايدًا للواقع، إنما أداة داخل شبكة علاقات سلطوية تساهم في خلق وإعادة تشكيل هذا الواقع[12].

يؤكد فوكو على الطبيعة المنتجة للسلطة، فهي لا تقتصر على القمع أو قول لا، بل تُنتج الواقع، ومجالات الأشياء، وطقوس الحقيقة، وتُشكّل الأفراد وذواتهم، وهذا يعني أن رغباتنا وهوياتنا تتشكل بفعل علاقات السلطة، كما أن ممارسة السلطة نفسها تُنشئ وتُظهر أشياء جديدة للمعرفة وتُراكم مجموعات جديدة من المعلومات، فلم تعد السلطة عند فوكو مجرد قمع أو منع، بل أصبحت منتجة، إنها تنتج المعرفة، والمعرفة بدورها تُنتج آثاراً للسلطة، فكل خطاب معرفي سواء كان طبيًا أو قانونيًا أو تربويًا، لا ينفصل عن علاقات القوة التي تجعله ممكنًا وتفرضه في الوقت نفسه، ليست السلطة جهة تمتلكها، بل هي استراتيجية تمارس داخل الشبكة الاجتماعية، ليست هناك معرفة بريئة أو محايدة، فالمعرفة هي نتاج علاقات القوة وليست مجرد انعكاس للواقع، فالسجن، والمستشفى، والمدرسة، والمصنع – كمؤسسات – هي في الوقت نفسه أماكن لإنتاج المعرفة عن المجرم والمريض والتلميذ والعامل، وأدوات لممارسة السلطة عليهم وتأديبهم، فالمعرفة في منظور فوكو، ليست مفهومًا محايدًا أو موضوعيًا، بل هي "متشابكة بعمق مع علاقات السلطة وتُستخدم "لتعزيز وإضفاء الشرعية على هياكل السلطة القائمة"، "إن السجن مرتبط منذ نشأته بمشروع تكوين معرفة عن الأفراد الذين تخضعهم السلطة وتضبطهم... فالمعرفة تنتج في قلب ممارسات السلطة، وتكون أداة فعالة

11 - محمد عابد الجابري، "المعرفة والسلطة"، الطبعة الرابعة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1996، ص 27.

* ميشال فوكو (بالفرنسية: Michel Foucault) (1926 - 1984) فيلسوف فرنسي، يعتبر من أهم فلاسفة النصف الأخير من القرن العشرين، ابتكر مصطلح (أركيولوجية المعرفة).

12 - سامي شريف "ميشيل فوكو: سلطة المعرفة الطبعة الأولى، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، بيروت 2005، ص 89.

 Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

لتدعيم آلياتها"[13]، اى ان المعرفة تدعم السلطة وهده المعرفة (مثل علم النفس الجنائي، الإحصاءات الاجتماعية) تُستخدم لتحسين وتبرير وتوسيع نطاق سيطرتها، فما يُعتبر حقيقة هو دائمًا نسبي لنظام معين من السلطة، ولا يمكن أن تكون المعرفة محايدة تمامًا لأنها تنشأ من تكوينات سلطة معينة.

يقدم فوكو مفهوم المعارف الخاضعة التي تمثل وجهات نظر مهمشة قُمعت بواسطة السرديات المهيمنة، "يقدم فوكو مقولته الشهيرة 'لا توجد علاقات سلطة بدون مراسلاتها في حقل المعرفة، ولا توجد معرفة لا تشترط وتشكل علاقات سلطة في الوقت ذاته'، هذا يعني أن العلاقة بينهما علاقة تكوينية وليست عرضية، فالمعرفة لا تسبق السلطة لتطبق عليها لاحقًا، والسلطة لا تفرض نفسها على معرفة جاهزة، بل إن 'الحقيقة' نفسها هي نتاج لهذا النظام (الابستمي) الذي يحدد ما يمكن قوله وما يمكن تصديقه في عصر تاريخي معين، السلطة لا تكبح الحقيقة، بل هي التي تُنتجها وتجعلها قابلة للتداول، من هنا فإن تاريخ 'الحقيقة' هو في جوهره تاريخ أنظمة السلطة التي تنتجها وتجعلها سائدة، كذلك الخطاب يُعد نقطة تقاطع السلطة و المعرفة، فهو نظام يُحدد معاني الواقع ويرسم حدود ما يمكن قوله وما يجب إسكاته، مشكّلاً بذلك الهويات والأدوار الاجتماعية، وفي الاستشراق تتجلى هذه العلاقة بوضوح، حيث وظّفت السلطة الاستعمارية معرفة المستشرقين عن الشرق كأداة أساسية لتكريس هيمنتها السياسية والعسكرية، مكملةً القوة المعرفية بالقوة العسكرية لتحقيق المشروع الإمبريالي.

الاستشراق كأداة للهيمنة الثقافية
تحليل نقدي في ضوء نظرية القوة والمعرفة
الإطار الفوكوي لفهم الهيمنة

تمثل نظرية ميشيل فوكو حول القوة والمعرفة أساسًا مهمًا لفهم آليات الهيمنة الثقافية، حيث تتحدى التصورات التقليدية للقوة وتسعى إلى إعادة تفسيرها وفقًا لفوكو، فإن القوة لا ينبغي النظر إليها كأداة قمعية تمارس من الأعلى إلى الأسفل من قبل حاكم أو طبقة مهيمنة فحسب، بل هي منظومة معقدة ومتداخلة تنبض داخل أنسجة المجتمع بمجمله، إنها شبكة ديناميكية تعمل على مستويات متعددة وتؤثر بشكل دائم في تشكيل الواقع الاجتماعي[14]، فالأكثر عمقًا في تصور فوكو هو تعريفه للقوة باعتبارها منتجة، وليست مجرد أداة قمع، فهي لا تقتصر على تحطيم الحقائق القائمة، بل تعمل على خلق "واقع" جديد من خلال إنتاج الفئات والهويات و"الحقائق" التي تعزز سيرورة الهيمنة، القوة، بهذا المعنى، ليست مجرد أداة منع، بل هي أداة خلق، فهي تصيغ مفاهيم وأطرًا تحدد ما يمكن إدراكه وما يمكن الحديث عنه.

في سياق الاستشراق، تتجسد هذه الديناميكية عبر إنتاج (الشرق) كموضوع دراسة وكينونة قابلة للتصنيف والتحليل، وخلق صورة "الآخر الشرقي" بوصفه مقابلًا للذات الغربية، هذا التشكيل النشط ليس مجرد فكرة ثقافية، بل هو أداة تحكم تتجاوز الخطاب لتعيد ضخ علاقات القوة في المجتمع، عندما تحدد السلطة معايير ما يُعتبر معرفة حول مجموعة ما، فإنها تسيطر بفعالية على واقع تلك المجموعة، كذلك يرى فوكو وان القوة والمعرفة مترابطتان إلى حد لا يمكن الفصل بينهما، حيث تتشكل كل منهما في ضوء الأخرى. فالمعرفة ليست حيادية أو موضوعية أبدًا، بل هي نتاج علاقات قوة متشابكة تهدف إلى ترسيخ وإعادة إنتاج الهياكل القمعية، وفي المقابل تحدد القوة نطاق ما يُعتبر معرفة شرعية داخل أي مجتمع، وبهذا فالخطاب هو الأداة الأساسية التي تُمارَس عبرها هذه العلاقة المتبادلة بين القوة والمعرفة، فهو ليس مجرد وسيلة للتعبير أو أسلوبًا سرديًا حياديًا، بل إطار اجتماعي وثقافي يُعيد تشكيل المعرفة والهويات والعلاقات بطرق تعزز الهياكل القائمة، الخطاب يحدد ما يُسمح بمعرفته وما يمكن الحديث عنه، ومن يمتلك حق التحدث، مما يؤدي إلى تشكيل هوية الأفراد وتوجيه وعيهم[15]، كذلك يذهب فوكو والى تقديم أمثلة لتوضيح تأثير القوة التأديبية، من مؤسسات مثل المدارس والمستشفيات والسجون، فهذه المؤسسات تعتمد آليات مراقبة صارمة وهياكل ضبط وتقييم دقيقة لتشكيل السلوكيات وخلق "أجساد مطيعة"، مثلًا في النظام التعليمي يُلاحظ الطلاب باستمرار ويُصنّفون حسب أدائهم الأكاديمي وسلوكهم، وفق معايير دقيقة مثل الالتزام

13 - المراقبة والعقاب لميشيل فوكو، ترجمة علي مقلد، دار الطليعة، لبنان، بيروت، 1990، ص 34-35.
14 - عبد العزيز العيادي، ميشال فوكو، المعرفة والسلطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1، ص31.
15 - المصدر السابق، ص 40.

 Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

بالأنظمة الزمنية والاستجابة للتوجيهات، هذه الأنماط الرقابية والتحكمية تجد صدى لها في أشكال أخرى من المؤسسات مثل السجون والمعسكرات العسكرية.

يقدم الإطار الفوكوي أداة تحليلية قوية لفهم العمق الذي تصل إليه آليات الهيمنة الثقافية عبر إنتاج المعرفة والهويات، مع تسليط الضوء على دور الخطاب في إعادة تشكيل الواقع وتثبيت علاقات القوة القائم.

دور الاستشراق في تشويه أو تبسيط الهوية العربية

الاستشراق يمثل ظاهرة ذات تأثير متشابك ومعقد في تشكيل صورة العالم العربي والإسلامي لدى الغرب، وغالبًا ما كان هذا التأثير يتسم بالسلبية وتشويه الهوية العربية، ظهرت فكرة الاستشراق في العصور الوسطى الأوروبية باعتبارها محاولة أكاديمية لفهم الشرق، خاصةً في سياق النصوص الدينية والثقافية، ومع مرور الزمن، تطوّر هذا الاهتمام ليصبح أداة تخدم الطموحات الاستعمارية، حيث جرى استخدام المعرفة المكتسبة لتكريس مفهوم تفوق الغرب وحضارته على ما يتم اعتباره شرقًا "متخلفًا، فالاستشراق تجاوز كونه مجرد تمثيل ثقافي أو دراسة علمية للشرق، فقد تحول إلى نهج يهدف للسيطرة عليه وإخضاعه، عبر إصدار الأحكام المغلوطة وإعادة تشكيل صورته بطرق نمطية، هذا الاتجاه أسّس لصناعة صورة نمطية تُصوّر "الشرق" كمفهوم موحّد وثابت، مختلف تمامًا عن الغرب الذي يُوصف بالمتحضر والمتحرك نحو التغيير، وفي إطار الخطاب الاستشراقي، غالبًا ما جرى تصوير الهوية العربية والإسلامية على أنها منغلقة وعدائية تجاه التطور، مع ميول نحو العنف والاستبداد، مما اختزل التنوع الثقافي والتاريخي الغني للعرب إلى مجموعة من الصور المجحفة التي تسهم في تعزيز رؤية الغرب لنفسه بوصفه مركز العقلانية والتقدم[16].

الدراسات الاستشراقية، خاصة في مراحلها الكلاسيكية، لعبت دورًا محوريًا في خلق تصور مشوّه عن الهوية العربية من خلال عزل حلقات معينة عن سياقاتها التاريخية الأكبر، فالعربي غالبًا ما كان يُقدّم في تلك الدراسات إما كبدوي عديم الاستقرار، أو كتاجر ماكر يسعى فقط للربح، أو كحاكم مستبد لا يعتمد إلا على السيف في بسط حكمه، هذه التصورات المجتزأة سهّلت فصل التراث الفكري العربي عن سياقه الحضاري الأوسع، وزرعت فكرة أن الحضارة العربية مجرد ناقل سلبي لحضارات أخرى دون إسهام فعّال حقيقي في مسيرة المعرفة الإنسانية، وقد تم بذلك تهميش إبداع العقل العربي لصالح سرديات أوروبية تدّعي أنها الوريثة الحصرية للحضارة الإغريقية والرومانية[17]، هذا الميل الأيديولوجي للاستشراق خلّف آثارًا محسوسة على الهوية العربية، حيث أدى إلى تراجع الثقة بالنفس وانخفاض التقدير الذاتي لدى الشعوب العربية، كما ساهم في تقويض جهود التفاهم الثقافي بين المستشرقين والعرب، معززًا الانقسامات والتوترات ضمن علاقة غير متوازنة، مع ذلك، ينبغي الاعتراف بأن الاستشراق لم يكن شرًا مطلقًا، فبعض المستشرقين لعبوا دورًا إيجابيًا في إنقاذ المخطوطات القديمة وترجمة أعمال عربية ذات قيمة تاريخية كبيرة، مما ساعد في الحفاظ على أجزاء من التراث العربي، ولكن هذا الجانب الإيجابي لا يقلل من الأثر السلبي الأعمق الذي ولّده الاستشراق، حيث ساهم في شرعنه الهيمنة الغربية وتشويه الهوية العربية، اذ ان إدراك هذا الدور المعقد للاستشراق ضروري لتحقيق وعي ذاتي عربي، والانتقال نحو إعادة الكتابة التاريخية بمنهج يرفض القوالب النمطية المفروضة ويحتفي بالتنوع والغنى الحقيقي للحضارة العربية والإسلامي.

الاستشراق الأكاديمي والسياسي

دور المستشرقين في كتابة التاريخ العربي

لعب المستشرقون دورًا محوريًا في كتابة التاريخ العربي، حيث تجاوزوا التوثيق إلى تقديم رؤى جديدة، اعتمدوا منهجًا علميًا قائمًا على البحث وفحص المصادر الأصلية، أسهموا في إثراء المكتبة العربية بالترجمات والنقد، وفتحوا آفاقًا بحثية جديدة، كما أنقذوا مخطوطات نادرة بحفظها في المكتبات الغربية، ساهموا كذلك في إحياء التراث العربي عبر اكتشاف المخطوطات ودراستها وشرحها، ومع تقدير هذا الجهد،

16 - ادوارد سعيد، الاستشراق، (كمال أبو ديب، مترجم)، بيروت مؤسسة الأبحاث العربية، (نُشر الأصل بالإنجليزية عام 1978)، ص 41-42.

17 - محمد عبد الوهاب، نقد الخطاب الاستشراقي: الصورة العربية في المراجع الأمريكية، القاهرة، دار الشروق، (1994)، ص118.

 Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

يجب نقد دوافعهم التي امتزجت أحيانًا بالمصالح السياسية والدينية، ونظرتهم التي قللت أحيانًا من قيمة الحضارة العربية بذاتها[18]، فقد تجاوز تأثير الدراسات الاستشراقية الأكاديميا، حيث شكلت المنهج السائد لدراسة الشرق الإسلامي في أوروبا، ساهمت في تشكيل صورة نمطية عن العرب والإسلام، وتبنتها الحكومات في سياساتها، خلال صعود الدولة العثمانية، استُخدمت فرضياتها الخاطئة كأداة لتغذية العداء تجاه المسلمين وتعزيز السياسات الاستعمارية.

استمر المنهج الاستشراقي في الهيمنة على دراسة التاريخ العربي والإسلامي لفترة ليست بالقصيرة، متأثراً بأفكار سابقة نشأت في سياقه الغربي، وعندما تناول المؤرخون المستشرقون تاريخنا، كانت كتاباتهم مشبعة بمفاهيم مثل "العصر الذهبي" يليه "عصر الانحطاط"، وهي تقسيمات تعكس رؤية خطية لا تعكس دائمًا حقيقة تطور المجتمعات الإسلامية، رغم أنهم قدموا تاريخًا مدققًا من حيث النص، إلا أنه غالبًا ما كان مُحرفًا من حيث الفهم والتفسير، إذ نظروا إلينا من الخارج وبوجهة نظر الغرب وليس من منظورنا[19]، ومع ذلك يظهر تحليل الخطاب الاستشراقي قديمه ومعاصره رؤية متصلة لتاريخ العرب المسلمين من الجاهلية إلى العصر الحديث، يرى هذا الخطاب أن التاريخ العربي المعاصر يستند إلى أسسه القديمة والحضارة الإسلامية، التي قامت على مشروع تجديد العلاقة مع الخالق وعمارة الأرض.

توظيف المعرفة الاستشراقية في السياسة الاستعمارية

استغل الاستعمار التراث الاستشراقي، حيث تمكن من تجنيد بعض المستشرقين لخدمة مصالحه وأهدافه في بلاد المسلمين، وأدى ذلك إلى نشوء علاقة وطيدة بين الاستعمار والاستشراق، حيث اعتمد الاستعمار على ما يقدمه المستشرقون من معلومات وتحليلات حول الجوانب الاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية للبلدان الشرقية، وبالأخص الإسلامية، يظهر هذا الأمر بجلاء مع حملة نابليون على مصر عام 1798م، حيث استعان بفريق من المستشرقين لتزويده بالدراسات التي تساعده في فهم طبيعة البلاد وأهلها [20].

تقاطع مصالح الكنيسة، والصهيونية، والدول الاستعمارية بهدف إضعاف المسلمين، استهدفت هذه القوى السر الكامن في وحدة المسلمين وقوتهم، المتمثل في تمسكهم بالقرآن الكريم والسنة النبوية، ولأن المساس بالقرآن كان صعباً ومستحيلاً، وجهوا انتقاداتهم نحو السنة النبوية كونها المصدر الثاني للتشريع الإسلامي والأساس الذي تقوم عليه تفصيلات الأحكام، وعمدوا إلى استغلال الأحاديث الموضوعة والخلافات التاريخية بين المسلمين لتشويه السنة، ولم تقتصر محاولاتهم على ذلك، بل طعنوا في صحة الأحاديث الثابتة سنداً ومتناً وسعوا لتشكيك الناس في نسبتها إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، عبر ادعاءات مختلفة وبث الشبهات حولها، إلى جانب الهجوم على شخص النبي ورسالة الإسلام، لكن بفضل الله عز وجل، خابت مساعيهم وفشلت جهودهم، حيث قيض الله تعالى رجالاً من علماء الأمة اعتنوا بالدفاع عن السنة النبوية بإزالة ما أُلصق بها من شبهات وأباطيل، قام هؤلاء العلماء بمواجهة هذه الافتراءات بوسائل علمية ومنهجية دقيقة، استناداً إلى قواعد وضوابط صارمة لا نظير لها في تاريخ البحث العلمي، وهكذا بقيت السنة النبوية نقية كما تركها النبي صلى الله عليه وسلم، وستظل كذلك بإذن الله ما دام الإسلام قائماً والمسلمون متمسكين بدينهم، كما اتجه الاستشراق المتعاون مع الاستعمار -بعد الاستيلاء العسكري والسياسي على بلاد المسلمين- إلى إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين، وتشكيك المسلمين في معتقداتهم وتراثهم؛ حتى يتم للاستعمار في النهاية إخضاعًا تامًّا للحضارة والثقافة الغربية[21]، فقد تعامل المستشرقون الأوائل مع الثقافة العربية بنظرة استعلائية واستعمارية، وصُوِّرت المجتمعات العربية على أنها متأخرة وغير حضارية، وتم الاستخفاف بإسهامات العرب الثقافية والعلمية عبر التاريخ، إلا أن طبيعة الدراسات الاستشراقية تغيرت تدريجياً مع الزمن، ظهرت توجهات جديدة تسعى إلى تقديم فهم أكثر عمقاً وشمولاً

18 - طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، دار المعارف، القاهرة، ص 95.

19 - عبد العزيز الدوري، تأريخ التاريخ: اتجاهاته ومصادره في العصر الإسلامي، بيروت، ط 2، (2005) مركز دراسات الوحدة العربية، ص20.

20 - ادوارد سعيد، الاستشراق، ص 107.

21 - محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، القاهرة، دار المعارف، ص 44.

 Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

للثقافة العربية والإسلامية، مما ساهم في تعزيز الحوار الثقافي بين الشعوب والحضارات بشكل أكثر توازناً وإنصافاً.

وسائل الإعلام والخطاب الاستشراقي المعاصر:

تغطية الإعلام الغربي للشرق الأوسط

تتميز التغطية الإعلامية الغربية لمنطقة الشرق الأوسط بتركيزها على الصراعات العسكرية وقضايا الإرهاب، مما يخلق صورة نمطية تربط المنطقة بالعنف وعدم الاستقرار، غالبًا ما تتأثر هذه التغطية بعوامل مثل المصالح الجيوسياسية، الأولويات التحريرية، والصور المسبقة، مما يؤدي إلى تقديم رؤية غير متكاملة ومتحيزة، يأتي هذا التركيز على حساب تجاهل التطورات الإيجابية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مثل الابتكار التكنولوجي والإنجازات الفنية في العديد من دول المنطقة، مما يشوه فهم الجمهور الغربي للواقع المعقد والمتنوع للشرق الأوسط.

أصبحت وكالات الأنباء العالمية الكبرى* ليست وسائل الإعلام مجرد ناقل للأخبار، بل أداة فعالة لتشكيل الرأي العالمي لصالح القوى المهيمنة، في تغطية الشرق الأوسط، تصيغ الأخبار وفق مصالحها، متجاهلة الحقائق المحلية، مما ينتج رؤية أحادية تشوه صورة المنطقة وتربطها بالصراع والتخلف بدلا من التركيز على تعقيداتها الحقيقية[22]، هناك أيضاً ميل واضح نحو تبسيط القضايا المعقدة وتقسيمها إلى ثنائيات مختزلة كـ "الخير والشر" أو "الضحية والمعتدي"، هذا التبسيط يغفل السياقات التاريخية والثقافية العميقة التي تؤطر تلك الصراعات، مما يجعلها تبدو وكأنها أحداث عشوائية وليست انعكاساً لتاريخ طويل من السياسات والأحداث، إضافة إلى ذلك، يرى عدد من المحللين وجود تحيز ضد الإسلام والمسلمين أحياناً، حيث يتم ربط الإرهاب بالدين ككل بصورة غير منصفة، في حين أن هذه الظاهرة مقتصرة على جماعات متطرفة لا تمثل غالبية المسلمين.

خطاب الإعلام الغربي تجاه الشرق الأوسط يرتبط بشكل واضح بخطاب الاستشراق التقليدي، حيث يستمد منه أطره التفسيرية وصوره الرمزية، غالباً ما يُعرض العربي أو المسلم باعتباره "الآخر"، المغاير للغرب والمتخلف عن مدنيته، العنيف، والمتعصب دينياً بالطبع، وعلى الرغم من أن هذه الصور النمطية قد لا تكون دائماً مقصودة، فإنها باتت جزءاً من اللاوعي الجمعي لدى الإعلام الغربي، تتكرر بشكل تلقائي عبر اللغة وزاوية الطرح التحريري وطريقة التصوير، مما يعمّق هذه الصورة النمطية لدى الجمهور العالمي [23].

تأثير العولمة على استمرارية الصور النمطية

تتعامل العولمة مع الصور النمطية بتناقض، فهي من جهة تتيح فرصًا لتفكيكها عبر التعارف المباشر وإبراز التنوع، ومن جهة أخرى، تعيد إنتاجها ونشرها على نطاق واسع، حيث تحول الثقافات المعقدة إلى سلع مبسطة، وغالبًا ما يتم تقديم الثقافة العربية والإسلامية في الإعلام الغربي ضمن أطر مشوهة لخدمة أجندات سياسية، بدلًا من أن تكون العولمة جسرًا للتفاهم، بل أداة فعالة لإعادة إنتاج سوء الفهم وتعزيز الصور النمطية التقليدية بشكل مبتكر وأكثر قوة وانتشارًا [24]، تختزل الصور النمطية الشعوب في قوالب بسيطة لتلائم السوق، وتعززها الخوارزميات والعولمة، مما يخلق حلقة مفرغة من التأكيد والرفض وإعادة الإنتاج المتطرف.

في الوقت ذاته، تدفع الصور النمطية السلبية التي تُصدرها العولمة بعض المجتمعات إلى رد فعل دفاعي يعبّر عن نفسه عبر تشكيل صور نمطية مضادة، ففي العالم العربي مثلًا، وفي مواجهة الصورة السلبية التي يرسمها الإعلام الغربي عنه، تظهر محاولات لاستحضار صورة مثالية للماضي تُجرد من العيوب وتصور الذات كضحية بريئة والآخر كشر مطلق، لكن هذه الصورة المثالية أيضًا تقع في الفخ نفسه

* مثل رويترز وأسوشيتد برس وفرانس برس.

22 - ثروت عكاشة، الإمبريالية والإعلام، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1984)، ص 135.

23 - عبد الوهاب المسيري، صورة العرب في الإعلام الغربي: دراسة في تحليل الخطاب، القاهرة، دار الشروق، (2005)، ص78.

24 - أحمد بن حامد زهران، العولمة وتحدي الهوية، دار المعرفة الجامعية، ألإسكندرية (2009)، ص 148.

 Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

لأنها تقدم نموذجًا مضادًا للنمطية عن طريق إنكار التعقيدات الداخلية ورفض النقد الذاتي، مما يعوق الحوار البناء ويكرس دورة الصور النمطية المتبادلة بين "نحن" و"هم"[25]، فالعولمة إذن تقدم أدوات لتفكيك هذه الصور، لكنها في الوقت ذاته توفر آليات لإعادة إنتاجها بشكل أعمق وأسرع، فقد جعلتنا أقرب إلى بعضنا البعض على سطح الخارطة، لكنها دفعتنا للعيش في أحياء فكرية مغلقة حيث تستمر الصور المسبقة بالهيمنة على وعينا، وعلى الرغم من أنها وسعت آفاق التفاعل الإنساني، إلا أنها أعطتنا أدوات أكثر قوة لتشويه الآخر أو تجاهله، وبالتالي لا يمكن اعتبار بقاء الصور النمطية دليلًا على فشل العولمة بقدر ما هو نتاج حتمي لطبيعتها المزدوجة التي تجمع بين التقارب والتباعد في الوقت ذاته.

محاولات إعادة بناء الوعي العربي

مشاريع النهضة

شهدت النهضة العربية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ظهور مجموعة من المشاريع الفكرية التي هدفت إلى انتشال الأمة من حالة الركود والتخلف التي وصلت إليها، ومن بين أبرز الشخصيات التي لعبت دورًا محوريًا في هذه الحركة الفكرية نجد طه حسين ومحمد عبده، ورغم اختلاف المنهجيات التي اعتمداها، فإنهما اجتمعا على هدف مشترك يتمثل في التحديث والإصلاح.

إعادة الوعي العربي طه حسين

يعتبر طه حسين* من أبرز الشخصيات التي ساهمت في حركة التنوير في الفكر العربي الحديث، لم يكن مشروعه مجرد إصلاح أدبي أو تعليمي، بل كان مشروعًا شاملًا يهدف إلى (إعادة تشكيل الوعي العربي) من خلال محورين رئيسيين: تحرير العقل من سيطرة التراث والخضوع غير النقدي، وربط الهوية العربية بالحضارة الغربية كشريك في المعرفة والإنسانية، وليس كعدو.

انطلق طه حسين في مسعاه الفكري من إيمان راسخ بأن أزمة الأمة العربية تكمن في جمود الفكر وانقطاعه عن مصادر النقد والتحرر، لقد اعتقد أن إعادة بناء الوعي العربي لا تتم بالتمسك الحرفي بالماضي، بل عبر قراءته بطريقة عقلانية نقدية، كان شعاره (أشك لأصل إلى اليقين) بمثابة الزلزال الذي هز أسس الفكر التقليدي، في كتابه "في الشعر الجاهلي لم يكن هدفه تدمير التراث، بل كان يهدف إلى إحداث صدمة وعي تثير العقل العربي من سباته، أراد طه حسين تحويل الوعي العربي من وعي قائم على الاستقبال والقبول، إلى وعي قائم على التساؤل والنقد والتفحص، كانت رسالته: أن حرية الفكر تشكل الأساس الذي تُبنى عليه نهضة حقيقية، وأن العبودية الفكرية للموروث، مهما كان مقدسًا، هي العدو الحقيقي للتقدم، "أراد أن يُنتقل بالعربي من متلقٍ سلبي للمسلمات إلى فاعل نشط في عملية التساؤل والبحث"[26].

سعى طه حسين لإعادة تشكيل الوعي العربي من خلال دمجه في الحضارة الإنسانية المعاصرة، معتبرًا الهوية العربية امتدادًا للمجال المتوسطي وجسرًا للتفاعل مع أوروبا دعا إلى تبني العلوم والمناهج العقلانية الأوروبية كشركاء في المعرفة، وليس كأعداء كما جعل التعليم المجاني والإلزامي والعلماني حجر الزاوية لتحرير العقل وبناء الشخصية العربية المستقلة. واجه مشروعه هجومًا عنيفًا من التيارات التقليدية، لكنه ظل مدافعًا ثابتًا عن حرية الفكر كأساس للنهضة يُعد طه حسين بهذه الرؤية الشجاعة والمتكاملة أحد المهندسين الرئيسيين لمحاولة إصلاح الوعي العربي في العصر الحديث.

إعادة الوعي الامام محمد عبده

أدرك الإمام محمد عبده أن أزمة الأمة سببها الجمود الفكري وسوء فهم الدين في مواجهة التحدي الحضاري، فجعل مشروعه الإصلاحي لإعادة الوعي يرتكز على تحرير العقل من التقليد الأعمى، والجمع

---

25 - المصدر السابق، ص175.

* طه حسين علي بن سلامة (1306- 1393 هـ / 1889- 1973 م)، وشهرته «طه حسين»، أديب وناقد مصري، لُقّب بعميد الأدب العربي، يُعَد من أبرز الشخصيات في حركة الأدب العربي الحديث، ولا تزال أفكاره ومواقفه تثير الجدل حتى اليوم.

26 - محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية (1982)، الصفحات 78-80.

 Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

بين الأصالة والحداثة، رأى محمد عبده أن "إعادة الوعي" تمر عبر تحرير العقل من سلطة التقليد والماضي، وفهم الدين فهماً يتوافق مع العقل والمنطق وضرورات العصر[27]، فقد سعى محمد عبده إلى إحياء الوعي الوطني والقومي من خلال تفسيره لمفهوم "الأمة" ودفاعه عن اللغة العربية كلغة للقرآن والفكر، مع التأكيد على أن النهضة لا تتعارض مع الإسلام بل تستمد منه قوتها، ليحرر الإنسان من الخوف والجمود، ولم يقتصر مشروعه على الدين، بل شمل إصلاح التعليم لموازنة الهوية والعلوم العصرية، وأكد على الإصلاح الاجتماعي والسياسي بمحاربة الاستبداد والدعوة للحرية والعدل والشورى، أن محاربة الاستبداد السياسي كانت جزءاً أساسياً من مشروعه لإعادة الوعي، حيث أن الوعي الحر لا ينمو في مناخ الاستبداد، فقد تعامل مع الحضارة الغربية بوعي متوازن، فأخذ بأسباب تقدمها مع الحفاظ على الشخصية الإسلامية، واجه تحديات جسامًا، لكن إرثه لا يزال حيًا، حيث تبقى أسئلته حول تجديد الدين ومواجهة الاستبداد والتراث والحداثة جسرًا أساسيًا لأي نهضة عربية معاصرة[28].

ان مشروع محمد عبده يسعى إلى تحقيق هدف يتمثل في بناء وعي عربي جديد، يستطيع الجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويكون مستعداً للانخراط في العصر الحديث بثقة، دون الانبهار المفرط أو الانعزال التام.

النقد العربي للاستشراق

موقف ادوارد سعيد من الاستشراق:

الخطاب الاستشراقي كما ناقشه إدوارد سعيد* لا يمكن التعامل معه كجهد أكاديمي محايد لدراسة الشرق أو كنظرة ثقافية بريئة تسعى لفهم الآخر، بل يتبدى هذا الخطاب في جوهره كأداة ذات غايات مزدوجة: الأولى تكمن في تعزيز الشعور بالتفوق الثقافي والحضاري الغربي عبر بناء هوية غربية تقوم على نقيضها الشرقي المفترض، والثانية تكمن في تقديم مبررات للهيمنة الإمبريالية والاستعمار، كذلك يرى سعيد أن الغرب سعى إلى ابتكار "آخر" يناقضه مفهوميًا ليعرّف ذاته كمركز ومعيار، فالهويّة الغربية التي تتسم بالعقلانية والتقدم والحداثة، لا يمكن فهمها إلا بتقديم الشرق كصورة ما يناقضها (مكان للخرافة للتخلف وللجمود)، فالخطاب الاستشراقي لم يصف واقعاً بقدر ما مارس عملية خلق رمزية لشرق يتماشى مع نظرة الغرب وشعوره بالتفوق، هذا البناء النظري لم يكن محايداً، بل كان يخدم رغبات الغرب النفسية والسياسية، إذ قُدِّم الشرق كرواية ثابتة للتخلف والقصور والافتقار إلى التاريخ الذاتي المستقل عن الاستعمار، يمثل هذا التصور للشرق أداة رمزية تمكن الغرب من رؤية ذاته كقوة عقلانية وتقدمية في مقابل شرق وصف بالانحطاط والأسطورة، وبهذا المنظور يصبح وصف الشرق وتقديمه جماعياً ككيان غرائزي وخاضع للطبيعة وفاقد للمعرفة جزءًا من عملية أيديولوجية استهدفت ترسيخ التفوق الغربي[29]، وهذا ما يجعل خطاب الاستشراق، كما يرى سعيد، أمراً وظيفيًا يخدم استمرار الهيمنة الغربية عبر تسويغها أخلاقياً وثقافياً.

في قلب هذا الخطاب يبرز هدف أعمق يتمثل في تطبيع واستساغة التدخل الاستعماري وتصويره كضرورة حضارية، فبدلاً من أن يُنظر إليه كعمل قهري وعنيف، تم تقديم الاستعمار كواجب أخلاقي وحضاري يبرر نفسه بصفته "إنقاذاً" لشعوب غير قادرة على النهوض بنفسها، وهنا تتحول الهيمنة الثقافية إلى وسيلة لشرعنه الهيمنة السياسية تحت غطاء التمدين والتنظيم[30]، يتجلى ذلك بوضوح في تصوير شعوب الشرق بوصفها قاصرة وعاجزة دون دعم العقل الغربي، فالخطاب الاستشراقي لم يقتصر على وصف تصور معين للشرق، بل أعاد بناء الشرق ككيان فاقد للاكتفاء السياسي والمعرفي، مما يجعل التدخل الغربي يبدو امتداداً طبيعياً وضرورياً لمسؤوليته الحضارية المزعومة، هذا الخطاب لم يكتفِ باحتلال الشرق

27 - محمد عمارة، تيارات الفكر الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، 1997، ص126.

28 - المرجع السابق، ص128-129.

* أن إدوارد سعيد قد كشف في تحليله التأسيسي كيف أن الخطاب الاستشراقي كان مشروعًا مزدوج الوظيفة: مشروعًا لبناء الذات الغربية عبر تشويه وتهميش الآخر الشرقي، ومشروعًا لتسويغ الهيمنة الإمبريالية عبر تقديمها كمشروع حضاري، لقد كان هذا الخطاب أداة قوية لم تُشوّه صورة الشرق في عيون الغرب فحسب، بل ساهمت في تشويه الشرق في عين نفسه أيضًا، مما سهّل عملية استلابه سياسيًا وثقافيًا، وأسّس لعلاقة غير متكافئة لا تزال آثارها ماثلة حتى يومنا هذا.

29 - ادوارد سعيد، الاستشراق، ص 94-95.

30 - المرجع السابق، ص104.

 Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

عسكرياً فحسب، بل سعى إلى "إعادة تشكيله" معرفياً ورمزياً، ليصبح احتلاله مسألة حتمية تعكس التفوق الغربي[31].

يرى ادوارد سعيد إلى أن المدارس الاستشراقية الغربية لعبت دور الوسيط الأيديولوجي الذي مكّن من الهيمنة على الشرق ثقافياً وسياسياً، مع تضخيم هوية الغرب الذاتية وإنتاج تصور جديد لجوانبه الحضارية عبر إسقاط نقيضه الشرقي، فقد وظّف الغرب مقولة "المعرفة قوة" لصالحه، حيث تمكن من الإلمام الكامل بالشؤون الشرقية وخفاياها الظاهرة والخفية، هكذا لعب الاستشراق دوراً مركزياً في تسهيل السيطرة السياسية والثقافية، حيث شوه صورة الشرق وأعاد إطاره بما يتناسب مع مشاريع الاستعمار والاستغلال الغربي.

دور المثقفين والمؤسسات العربية في مواجهه التشويه الثقافي

لعب المثقفون والمؤسسات الثقافية العربية دورًا محوريًا في التصدي لموجة التشويه الثقافي المتزايدة التي أفرزها العصر الرقمي وخطاب الاستشراق المتجدد هذا الجهد ليس محض رد فعل، بل هو مشروع متكامل لتأسيس وعي جمعي مستنير ومتماسك، قادر على التمييز بين الحقائق والتلاعبات المعلوماتية يتحمل المثقفون مسؤولية تفكيك السرديات المشوهة التي تنتشر عبر المنصات الرقمية والإعلامية، والتي تسعى لتقديم صور نمطية قد تُفاقم من سوء الفهم المتبادل تجاه الهوية العربية والإسلامية، في عصر العولمة والثقافية يتجاوز دور المثقف مجرد التحليل إلى ممارسة نقدية عميقة هدفه الكشف عن مواطن القوة والضعف في الخطابات الثقافية والدخيلة والتي غالبًا ما تتسلل عبر قنوات ناعمة مثل الترفيه والتسويق يتوجب عليه أن يكون حارسًا للهوية والوعي ألجمعي ليس برفض الأخر بل بالسعي لإيجاد مساحات إنسانية مشتركة تعزز التصالح مع الذات وتمنع ذوبان الهوية، يتطلب هذا الدور نهجًا استباقي وإبداعي يتعدى الدفاع إلى الإنتاج الفاعل لمحتوى ثقافي رقمي يديل يجب على المثقفين الدخول بقوة إلى العالم الرقمي عبر إنتاج أفلام وثائقية، وكتابة مقالات، وإنشاء منصات تواصل تقدم سرديات أصيلة تجسد التنوع الحضاري العربي والإسلامي لا بد أن يدعم هذا جهد تعاون إقليمي لخلق مظلة حوار ثقافي مشترك، وعلى صعيد المؤسسات يجب التركيز على رقمنه التراث العربي والإسلامي (مكتبات رقميه متاحف افتراضية) لحفظ ذاكرة الأمة وإتاحتها للجمهور العالمي، كما يجب دعم المواهب الناشئة وتأهيلها لإنتاج محتوى عالي الجودة ينافس في الساحة الرقمية ويعكس روح المجتمع.

إن المؤسسات الثقافية تمثل القاعدة المنظمة لأي جهد جماعي ومستدام لمواجهة التشويه الثقافي، بينما يظل تأثير المثقف الفردي محدودًا، تستطيع تلك المؤسسات توفير بيئة دعم متكاملة للحفاظ على التراث ونشره بطرق مبتكرة تتناسب مع الأجيال الصاعدة مهمتها لا تقتصر على حفظ الماضي فقط، بل تشمل أيضًا المساهمة في بناء المستقبل من خلال إنتاج يعكس القيم الأصيلة ويحمي النسيج الثقافي من التفكك الذي تستهدفه تيارات التشويه المستمر [32].

الخاتمة

تشمل الخاتمة على عده جوانب وهي:

اهم النتائج

1 - الاستشراق ليس مجرد دراسة أكاديمية محايدة، بل هو ظاهرة معقدة ارتبطت تاريخيًا بالسياقات السياسية والاستعمارية، حيث تم توظيفه كأداة لإنتاج معرفة تتماشى مع مصالح الهيمنة الغربية على الشرق وتبرير المشاريع الإمبريالية.

31 - المرجع السابق، ص 245.

32 - دور المؤسسات الثقافية في حماية الهوية الوطنية"، سلسلة كتب الوعي العربي، تأليف مجموعة باحثين، مجلة مجتمع تربية عمل، المجلد 7، العدد 2 (31 ديسمبر/كانون الأول 2022)، الناشر جامعة مولود معمري-تيزي وزو كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية مخبر مجتمع تربية عمل ص 89.

 Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

2 - ترك الاستشراق أثرًا عميقًا ومستمرًا في تشويه الهوية العربية، حيث ساهم في ترسيخ صورة نمطية للعرب والمسلمين كـ "آخر" منغلق ومتخلف، مما أضعف الثقة الذاتية لدى العرب وحوَّل التراث العربي إلى مجرد ناقل سلبي للحضارات الأخرى.
3 - العلاقة بين المعرفة والسلطة – كما يطرحها ميشيل فوكو – تتجلى بوضوح في الخطاب الاستشراقي، حيث استُخدمت المعرفة المنتجة عن الشرق كأداة لتعزيز السيطرة الثقافية والسياسية، مما يجعل "الحقيقة" حول الشرق نتاجًا لعلاقات قوة وليست انعكاسًا موضوعيًا للواقع.
4 - وسائل الإعلام الغربية المعاصرة تستمر في إنتاج خطاب استشراقي حديث، من خلال تركيزها على الصراعات والعنف في الشرق الأوسط وتجاهل التطورات الإيجابية، مما يعيد إنتاج الصور النمطية ويعمق الفجوة الثقافية بين الغرب والشرق.
5 - مواجهة التشويه الاستشراقي تتطلب مشاريع نهضوية عربية نقدية – كما في أعمال طه حسين ومحمد عبده وإدوارد سعيد – تعتمد على تحرير العقل العربي من التقليد الأعمى، وإعادة كتابة التاريخ بمناهج نقدية، وإنتاج خطاب ثقافي بديل يعكس التنوع والحضارة العربية الحقيقية، مع الاستفادة من الأدوات الرقمية والمؤسسات الثقافية لنشر الوعي والهوية الأصيلة.

اهم التوصيات

1 - تعزيز الدراسات النقدية للاستشراق وتفكيك خطابه وتشجيع الأكاديميين والباحثين العرب على إنتاج دراسات تُعيد قراءة التراث الاستشراقي، وتكشف عن تحيزاته الأيديولوجية.
2 - مواجهة التشويه الإعلامي والمعرفي في العصر الرقمي عبر إنتاج محتوى ثقافي عربي أصيل ينافس الخطابات النمطية السائدة.
3 - إصلاح المناهج التعليمية وتعزيز الوعي النقدي لدى الأجيال الجديدة.
4 - تعزيز الحوار الثقافي المتوازن مع الغرب، اى تجاوز منطق الصراع والصورة النمطية المتبادلة بين "نحن" و"هم"، والسعي نحو حوار ثقافي يعترف بالآخر دون ذوبان أو انغلاق.

Compliance with ethical standards

Disclosure of conflict of interest

The author(s) declare that they have no conflict of interest.

قائمة المصادر والمراجع

1. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، بالقاهرة، ج1، ط4، 2004.
2. ابري، المستشرقون البريطانيون، ترجمة محمد الدسوقي، (د.ط)، (د.ت)، لندن.
3. أحمد بن حامد زهران، العولمة وتحدي الهوية، دار المعرفة الجامعية، ألإسكندرية (2009).
4. احمد سمالوفتش، فلسفة الاستشراق، دار المعارف، القاهرة – 1980.
5. ادوارد سعيد الاستشراق، (كمال أبو ديب، مترجم)، بيروت مؤسسة الأبحاث العربية، (نُشر الأصل بالإنجليزية عام 1978).
6. ثروت عكاشة، الإمبريالية والإعلام، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1984).
7. دور المؤسسات الثقافية في حماية الهوية الوطنية"، سلسلة كتب الوعي العربي، تأليف مجموعة باحثين.
8. رودى بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (المستشرقون الألمان منذ تيدور نولدكه) ترجمة مصطفى ماهر، دار الكتاب العربي، القاهرة.
9. سامي شريف "ميشيل فوكو: سلطة المعرفة الطبعة الأولى، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت 2005.
10. صالح محمد حسن الاشرف، الاستشراق: مفهومه وأثاره، ار النشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية الشريعة، المملكة العربية السعودية، 1438ه.
11. طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، دار المعارف، القاهرة.
12. عبد العزيز الدوري، تأريخ التاريخ: اتجاهاته ومصادره في العصر الإسلامي، بيروت، ط 2، (2005) مركز دراسات الوحدة العربية.
13. عبد العزيز العيادي، ميشال فوكو، المعرفة والسلطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1.
14. عبد الوهاب المسيري، صورة العرب في الإعلام الغربي: دراسة في تحليل الخطاب، القاهرة، دار الشروق، (2005).

 Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

15. على نملة، الاستشراق في الادبيات العربية، العربية للنشر والتوزيع، ط2، (د. ت.
16. لسان العرب، ابن منظور الأنصاري، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة 1414 هـ.
17. محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، دار الفكر، القاهرة.
18. محمد عابد الجابري، "المعرفة والسلطة"، الطبعة الرابعة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1996.
19. محمد عبد الوهاب نقد الخطاب الاستشراقي: الصورة العربية في المراجع الأمريكية، القاهرة: دار الشروق، (1994).
20. محمد عمارة، تيارات الفكر الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، 1997.
21. محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية (1982).
22. محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، القاهرة، دار المعارف.
23. نجيب العقيقى، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ج3.
24. ميشيل فوكو المراقبة والعقاب، ترجمة علي مقلد، دار الطليعة، بيروت، 1990.

Disclaimer/Publisher's Note: The statements, opinions, and data contained in all publications are solely those of the individual author(s) and contributor(s) and not of **AJASHSS** and/or the editor(s). **AJASHSS** and/or the editor(s) disclaim responsibility for any injury to people or property resulting from any ideas, methods, instructions, or products referred to in the content.

 Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).